﴿ حافظ ابراهيم واللغة العربية ﴾

« للاستاذ المغربي »

ليس إحتفال مجمعنا العلمي بتأبين (حافظ) وإكبارنا الفجيعة فيه لأنه كان صديقاً لنا : إذ ما كل صديق نحتفل بتأبينه — ولا لكونه شاعراً من شعراء أربعة أو خمسة تعقدُ البلاد العربية عليهم الخناصر — ولا لكونه كان نديماً ظريفاً . ولا أخبارياً محدّثاً — بل ولا لكونه من أعضاء مجمعنا العلمي: إذ لم يأخذ المجمع على نفسه أن يحتفل بكل واحد من أعضائه .

الفجيعة في حافظ أيها السادة هي فجيعة اللغة العربية فيه ولم ينشأ المجمع العلمي الا لخدمة هذه اللغة . والحرص على إرضائها: فاذا بكت اللغة بكى المجمع . واذا صاحت اللغة : واثكلاه واوحيداه صاح المجمع صياحها : واثكلاه واوحيده ! وهذه لغة الضاد في موت (حافظ) أقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السليمانية : تبكي في مأتمها هذا حافظاً وتندبه .

(أبنانِ[1] يبكيه . وتبكي الضادُ من حلب الى الفيحا الى صنعاء)

وان اجتماعنا هذا أيها السادة صورةٌ مصغرة للمأتم الكبير الذي أقامته اللغة لتأبين حافظ . وأقوالنا في هذه الحفلة انما هي صدى ندبها وعويلها :

(لقد[2] رزئت أمُّ اللغات وحيدها فان لم تكنه فالأب البرّ والجدّ)

(مَشت تتلوّى خلف نعشك كلما دعا باسمها الداعي أجدّ لها وجدا)

(فلما بَلغتَ القبرَ خرّتْ لوجهها تضجّ وتشكو من تباريحها الجهدا)

حافظٌ أيها السادة هو الشاعرُ الشاعر . وهو فوق ذلك أُغويٌّ وأخباري .

---

(١) من مرثية احمد شوقي في حافظ .

(٢) من مرثية احمد محرم في حافظ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما كونه شاعراً فأمر لا يجهله أحد . ومن يجهل أن « حافظاً » كان اذا قال شعراً لا يلبث أن تتناقله الأفواه . وتتملظ بحلاوته الشفاه ؟

شعرُ حافظ يمتزج بالعاطفة فيولد فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيولد فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان . فيغرس فيه ملكة الفصاحة .

مدارسة كتب الأدب . واستظهارُ الفصيح من نوادر اللغة لا يمنح النفسَ واللسان ملكة الفصاحة بقدر مايمنحها شعرٌ كشعر حافظ : نقيُّ اللفظ منسجمُ الأسلوب مشرق الديباجة . يُعبر عن خوالج النفس الوطنية الثائرة فيحفزها نحو مطامحها العظمى . ويُنير أمامها الطريق الى مثلها الأعلى .

شعر حافظ كالمصباح يمشي نورُه بين أيدي أبناء أمته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون .

شعرٌ مثل شعر « حافظ » يحيي لغتنا . ويحقق قوميتنا . ويثبت أقدامنا في أوطاننا .

كان (حافظٌ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أمته . لا لخدمة شهرته .

وإن فتىً عربياً أو فتاة عربية يحفظ من شعر حافظ قصيدة (غادة اليابان) أو قصيدة :

(خرج الغواني يحتجبـ ـن وبت أرقب جمعهنه)

فتستفيد منهما ملكةً في اللغة الفصحى . وحميةً في حبّ الوطن . أكثر من مئة قصيدةٍ غامضةِ المعنى . أعجميةِ الأسلوب .

ولولا أني أتكلم عن (حافظٍ) من ناحيته اللغوية لسردتُ لكم شواهد تؤيد ماذكرت . على أن أحداً منكم قلما يجهل ذلك من أمره . ومعظمكم يستظهر الكثير الطيب من شعره .

* * *

نحن معشر العرب أصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر أوضاع اجتماعنا .

ولم تخلُ لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة أيضاً : لم تخلُ من تنينٍ هائلٍ يواثبها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التنينُ هو فكرةٌ مشؤومة ترمي الى إحياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى .

ها هي اللغة العربية في حدود سنة (١٩٠٠) أي منذ ثلاثين سنة تقف على ضفاف النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الأعضاء والهةً ذاهلة : تندب نفسها . وتشكو مصابها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(يا ويح أهليَ أبلى تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون مادائي)

داؤها أيها السادة هو ما خامر نفوس أبنائها من زهدهم فيها . وانصرافهم عنها الى غيرها من اللغات الأجنبية . والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة إحياء اللغة العامية . تلك الفكرة الممثَّلة في أحد دهاة الانكليز (المستر ويلمور) .

هبط (المستر ويلمور) مصر في ذلك الحين . وقام بدعايةٍ واسعة النطاق للغة العامية المصرية . وخطب في الموضوع وكتب . وحاور وناظر . وألّف كتاباً نشره على المصريين . يدعوهم الى فكرته . ويقنعهم بصحةِ نظريته .

ومما يؤسف له أيها السادة أن يجد (ويلمور) أنصاراً له من الشعوبيين . شايعوه على رأيه . وأقاموا ضجةً في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة . وكادت تكون لويلمور ولأشياعه الغلبة لولم تصدمهم نهضةُ حُماة اللغةالفصحى .وفي طليعتهم فقيدنابالأمس (حافظ ابراهيم) فيرفع صوته في وسط تلك الضجة . منشداً قصيدته الخالدة . على لسان اللغة الفصحى : تخاطب أبناءها وتسألهم أغاثتها . فتقول :

(أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادي بوأدي في ربيع حياتي)
(ولو تزجرون الطير يوماً علمتمو بما تحته من فرقةٍ وشتات)

ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :

(أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير أناة)
(وأسمع للكتاب في مصر ضجةً فأعلم أن الصائحين نُعاتي)

ثم تحضهم على الأخذ بالحزم في دفع الضر عنها :

(فياويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم اذا عزَّ الدواء أُساتي)
(فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي)

ثم ذكرتهم بجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :

(سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يَعزُّ عليها أن تَلين قناتي)
(تحفظن ودادي في البلى وحفظته لهنَّ بقلبٍ دائم الحسرات)

وعاتبتهم على ميلهم الى اللغة العامية الممزوجة بالألفاظ الافرنجيه .

(أيهجرني قومي عفا الله عنهمو الى لغةٍ لم تتصل بُرواةِ)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(سرتْ لوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لعابُ الأفاعي في مَسيل فرات)
(فجاءت كثوب ضم سبعين رقعةً ... مشكلة الألوان مختلفات)

وعادت اللغة الفصحى الى وصف مزاياها والتساؤل لماذا عقها بنوها . وهي لم تقصر في خدمة دينهم وحضارتهم . فقالت :

(وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً ... وما ضِقتُ عن آي به وعظاتِ)
(فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ ... وتنسيق اسماء لمخترعات)
(أنا البحرُ في أحشائه الدرّ كامنٌ ... فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي)

ثم عيرت أبناءها بالغربيين الذين عزّوا لما عزّت لغاتهم فقالت :

(أرى لرجال الغرب عزّاً ومنعةً ... وكم عزّ أقوامٌ بعزّ لغاتِ)
(أتوا أهلهم بالمعجزات تفنُّناً ... فيالَيتكم تأتون بالكلماتِ)

ثم ختمت شكواها بتقديم إنذارٍ مخيف الى الكتّاب الحسني الظن بلغات الافرنج وآداب الافرنج . فقالت :

(الى معشر الكتّاب والجمع حافلٌ ... بسطت رجائي بعد بسطِ شكاتي)
(فإما حياةٌ تبعثُ الميتَ في البِلى ... وتُنبتُ في تلك الرموس رُفاتي)
(وإما مماتٌ لا قيامة بعده ... ممـاتٌ لعمري لم يُقس بممات)

كانت هذه القصيدة من شعر (حافظٍ) من أمضى الأسلحة التي شُهرت في وجه (المستر ويلمور) فأخفقت دعوته . وطويت رايته . ونكص على عقبيه الى بلاده .

وكأن أمير الشعراء (احمد شوقي بك) يُشير الى هذا الموقف المحمود الذي وقفه (حافظ) في وجه دعوة (ويلمور) فقال في رثائه له :

(يا حافظَ الفصحى وحارسَ مجدها ... وإمام من نَجلتْ من البلغاء)
(ما زلتَ تهتفُ بالفصيح وفضله ... حتى حميتَ أمانة القدماء)

وكما حنقَ (حافظ) على (ويلمور) حنق أيضاً على المستر (بلنت) الانكليزي الذي اشتهر في الدفاع عن القضية المصرية ضدّ قومه الانكليز : فان هذا المستر كان يرفع من شأن القصص العربية السخيفة العبارة ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القصص المسمى (إپيك) وانها إلياذة عربية صغيرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فما كان قوله هذا لِيَسُرَّ (حافظاً) بل كان يحسبه خدعةً ودعوةً الى اللغة العامية ·

***

ثم إن فوز (حافظٍ) في هذه المعارك نشّطه الى متابعة العمل في نصرة اللغة · فاستمرّ يُحيي فصيحها · ويَنثر الدرّ من كلمها الى آخر نسمةٍ من حياته · بل كان في مجالسه · وبين طلاب الأدب المَطيفين به — كأنه (استاذٌ سيّار) يصحح أغلاطهم · ويرشدهم الى الفصيح من القول · والصحيح من الأساليب :

قال الدكتور (زكي مبارك) ما ملخصه :

استنشدني (حافظٌ) يوماً شيئاً من شعري فأنشدته قولي :

(يا من يَعزُّ علينا أن نجازيهم صدّاً بصدٍّ وإغضاءً باغضاء)

ونطقتُ (يعِزّ) بكسر العين فقال (حافظٌ) يظهر يا مبارك أنه يحسن أن تقول (يَعَزّ) بفتح العين لأن (يَعزّ) هنا بمعنى (يَشقّ) لا بمعنى (صار عزيزاً) حتى تكسر العين ومع هذا أرجوك أن تراجع القاموس · قال فراجعته فوجدته يقول بجواز الوجهين: الكسر كما قلت أنا · والفتح كما قال حافظ · قال الدكتور : ومع هذا فقد استفدتُ من حافظٍ فائدتين : (١) اللطف في تصحيح أغلاط الإخوان · و (٢) الشعور بقيمة الدقة في نطق كلمات اللغة : إذ كان من رأي حافظٍ أن نخصّ (يَعَزّ) المفتوح العين لمعنى يشقّ والمكسور العين لمعنى صار عزيزاً ·

***

ولا يخفى عليكم أيها السادة أن المجامع العلمية اللغوية إذا كانت إنما أُنشئت لغرض حماية لغة الوطن — فأن (حافظ ابراهيم) عضو من أعضاء مجامعنا اللغوية بفطرته · وبنابل من غيرته على لغته ·

قال الدكتور (حسين هيكل) « إن لحافظ ميلاً شديداً الى أن يظهر اللغة العربية في كمال قوتها · وأنها تضاهي أحدث اللغات صقلاً وحياة · وهو يهزأ بالمزاعم التي كانت توجه اليها من أنها لغة قديمة عاجزة عن ان تجاري الحياة الحديثة اه) ·

وقال الشيخ عبد العزيز البشري في مرآته :

(ولا ننس لحافظٍ يداً جليلةً على اللغة العربية : فلقد طالما استخرج من مَجْفُوّ اللغة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صيغاً طريفةً بليغةً أدت كثيراً من المعاني التي تتحرك في أنفس الناس . ويعيي أداؤها على الاقلام) .

* * *

أما مقدرة (حافظ) اللغوية العملية فتتجلى لنا في الالفاظ الفصيحة التي كان يودعها قصائده ومصنفاته . وقد شهد له بهذه المقدرة (الشيخ ابراهيم اليازجي) : فقد كان يستجيد ذوق حافظ في اللغة . واختيار فصيح كلماتها .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري ايضاً :

« إن (حافظاً) لا يرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لأن هذه المعاني تقع للدهماء والعامة . وانما جلال الشعر وبهاؤه في إشراق الديباجة . ونصاعة القول » .

وقال خليل بك مطران :

« لحافظ غرام باللفظ لا يقلُّ عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على البيت الذي جاد معناه . فاذا فاته الابتكار في تصور المعنى . لا يفوته الابتكار في تصويره باجزل الألفاظ . وأبلغ الأساليب » .

إذن يمكننا القول بان (حافظاً) كان لغوياً من الوجهة العملية التطبيقية كما كان لغوياً من الوجهة العاطفية القومية .

* * *

وكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين حمدوا الله على ان كان أسلوب (حافظ) في شعره . غير أسلوبه في نثره : فقد كان رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة والسلاسة . أما في نثره فأمره على العكس : كان يتأنق فيه وينصب نفسه في انتقاء كلماته . لكنه لم يوفق الى جعله سهلاً سلساً . فلم يعد نثره مقبولاً الا لدى الخاصة وجهابذة الأدب .

على أن بعضهم مهّد لحافظ طريق العذر : كالدكتور لطفي جمعة فانه قال :

« ان (حافظاً) على كلٍّ قد أحسن الى قراء العربية وكتابها : وذلك لأنه أنعش أسلوب الكتابة . وحفز الهمم للبحث عن الألفاظ الجزلة . وأثر في كتابة الصحف أثراً نافعاً » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم إن عناية (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على أشدّه في ترجمة (البؤساء) فلم يُرض ذلك أنصار الأدب الحديث . وإنما أرضى أنصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فانه رحمه الله كان يُعجَب بكتابة حافظ وما تضمنته من الألفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدّى الى استخراج كتاب (البؤساء) فندعو الله أن يريده بؤساً حتى يزيدنا من هذا الأدب الجميل » .

* * *

ولا غرو أن يرحب مجمعنا العلمي بنثر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لأننا معشر أعضاء المجمع أول مايهمنا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحةً . وأن تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يميته الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعوبية .

واللغات أيها السادة ! كما تنمو باضافة كلمات أجنبية اليها تنمو باحياء القديم الفصيح من كلامها .

وقد تنطّن (حافظ) الى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات .

فكتابه (الاقتصاد السياسي) ألّفه أوترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) ليثقف الطلاب على هذا العلم . ويقرر لهم قواعده . لكنه أودعه من (الألفاظ الكتابية) ماجعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب علم واقتصاد .

وكذلك شأنه في كتابه (سطيح) الذي نقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصةٍ نسب روايتها الى من سماه (سطيحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكان ينبغي ان تستجمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الأساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الألفاظ الجزلة .

وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه الى العربية بؤساء (ڤيكتور هيكو) . وڤيكتورهيكو جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتادتها طبقته . فالسوقي العامي مثلاً لا يتكلم بلغة العالم الأديب . ولا العكس . وطريقة (هيكو) هذه مطابقة للمبدإ الذي قرّره أديب العرب الأكبر (الجاحظ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوقة وألفاظ العامة أن تُروى كما هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أي مغلوطةً ملحونةً والا ذهب رونقها وضعف تأثيرها .

وشاعرنا (حافظٌ) رحمه الله كان كلفه بفصيح اللغة وجزل ألفاظها يحمله على أن يترجم كلام السوقة من أبطال البؤساء بعبارة فخمة الألفاظ لا ينطق بها عادةً الا الفصحاء .

فالبنّاء الذي يبني رصيف الشارع اذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات (تياَمن ثم تياسر) و (ركب المحجّة) و (ما أخلقك يا فلان بكذا) . هكذا (حافظ) ترجم لنا كلام البنّاء الافرنسي .

ووصف لنا فرساً بأنه (سحير . عصلب . أهنع . أدكّ . مفتوح اللبان) و (فلانٌ لبث معلّقاً بخيطٍ من الأجل تحت شقّيْ مقصّ الفناء) .

وكذلك استعمل كلمة (أفجرَ) بمعنى أدركه الفجر و (بسل) بمعنى حرام و (انتعل أديم الأرض) أي سار بلا حذاء . و (قنابل قنابل) بمعنى جماعات جماعات . الى غير ذلك مما حمله ولوعه به على استعماله في غير مواطنه . مواطن هذه الكلمات كتُبُ الأدب و (المقامات) . لا القصص والروايات . فحافظٌ بهذا الأعتبار خلق لغوياً كاتباً . بل كاتباً مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً .

أما هو في الشعر فعلى العكس : اذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة تدل على شرهه وحرصه . فمن ثم لم يكن لغوياً في شعره . كما كان لغوياً في نثره .

ولكن هذا الشره الى غريب اللغة في النثر إن كان ساء أقواماً فإنه لم يكن ليسوء مجمعنا العلميّ الذي يحرص على أن تحيى اللغة العربية بإحياء النصيح من كلماتها . والقديم الرائع من تعابيرها .

لذلك كانت فجيعةُ المجامع اللغوية بحافظٍ من جهة لغته ونثره . تعادل بل تفوق فجيعة الأمة العربية به من جهة نظمه وشعره .

* * *

وصفنا لكم أيها السادة (حافظاً) العضو في مجامع اللغة والأدب أما (حافظٌ) العضو في مجالس الأُنس والطرب فاليكم طرفاً مما يتسع له المقام :

يظهر أن أهل (حافظٍ) تنبأوا يوم ولادته بأن سيكون مولودهم كثير الحفظ لأخبار العرب وأشعارهم ومستملح نوادرهم فسمّوه (حافظاً) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

روى أصدقاءُ (حافظ) أنه كان يعمل على وضع مُصنفٍ في المُرقص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من أروع أبياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب . حتى بلغ نصفه . فاختار لبعض الشعراء مثلاً قوله :

(ولا بدَّ لي من جهلةٍ في وصاله فهل من كريم أُودع الحلم عنده)

واختار لغيره غيره وهكذا .

وان اتساع (حافظٍ) في حفظ بليغ أشعار العرب على هذه الصورة أثر فيه ذوقاً في اللغة العربية . فكان أنقى الشعراء المعاصرين عبارة ، وأصحهم تركيباً . وأكثرهم تدقيقاً في اختيارِ الفصيح الرائع من الألفاظ .

وليس هذا فقط بل إن حفظه لأخبار العرب جعله نديماً ظريفاً : غير مملول المجلس . ولا مأجوم الحديث .

وقد استحسن الدكتور (زكي مبارك) ان نطلق على (حافظٍ) ومن كان على شاكلته من حفّاظ أخبار العرب — كلمة (محدّث) قال : وهو الذي يسميه الافرنسيون (Causeur) وأنا لاأُوافق الدكتور على ماقال : لأن لقب (المحدث) غلب في لغة الاسلام على راوي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمةً أُخرى أحق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبةً الى التبحر في الأخبار . والاتساع في الرواية .

وقد كان (الجاحظ) أكبر (أخباري) قام في الاسلام . وبعده المسعودي والمحسّن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة وغيرهم كثيرون .

وسمّى (الجاحظ) هذا العلم (علم الخبر) وأثر عنه أنه قال (علم الخبرِ هو علم الملوك) . وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن حافظاً كان أكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا . كما كان (أناتول فرانس) أكبر أُستاذ في هذا العلم عند الافرنسيين .

وكان (حافظٌ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوُّق في هذا العلم : استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتبَ اليه هذين البيتين :

(قل للرئيس جزاه الله صالحةً بأنَّ شاعره بالباب ينتظر)

(إن شاءَ حدَّثة أو شاءَ أتحفه بكلِّ نادرةٍ تُروى وتُبتكر)

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظٍ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في زيارته الأخيرة لبلدهم — أنه أبرع أخباريٍّ وأظرفُ نديم عرفوه في حياتهم .

ولولا وقارُ (مأتم التأبين) لروينا لحضراتكم شيئًا من مُلحه الأدبيـة مما يَدلُّ على شِدَّة ذكائه . وقوة حفظه .

* * *

على أنني مهما أغفلتُ ذكر خبرٍ من أخبار حفظه . لا أُحب أن يفوتني ذكر خبرٍ مستغربٍ اتفق له مرة في نسيانه :

ذلك أنَّ (حافظًا) يحفظ أخبـار الأولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقةٍ وتثبُّت . ولكنه مع هذا ذَهِلَ مرةً عن خبر (قصر الجزيرة) الذي كان للخديو سيد اسماعيل ثم اتخذ فندقًا لكبار السياح ثم صار قصراً لآل لطف الله — فروى لنا (حافظ) أن هذا القصر أصبح (بستان حيوان) . وذلك قوله من قصيدة[1] وصف فيها ذلك القصر :

(كنت بالأمس جَنَّة الحوريا قصـ ـر فأصبحت جَنَّـة الحيوان)

مع أنَّ الذي تحوَّل الى (جنة حيوان) انما هو (قصر الجيزة) لا (قصر الجزيرة) .

ولعمري إنَّ نسيان (حافظ) لخبر هـذين القصرين اللذين هما على مرمى سهم من نظراته . وطالما لمحها في غدواته وروحاته — أمرٌ مستغربٌ جداً نرويه في غرائب أخباره بعد مماته . كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته .

وهـذا النسيان من (حافظٍ) يُشبه ما روي عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أنه استأذن يوماً على بعض إخوانه . فسأله الحاجب عن اسمه . فأطرق يتذكر .

رحم الله (الشيخ عبده) ورحم (حافظاً) . وهل ترون الزمان . أيها الإخوان . يُخلف علينا مثلها في العلماء والشعراء ؟ إنْ فعل نكن حقًا من السعداء .

---

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net